وجهة النظر الأخرى ضرورة

إنى أمقت هذه المناقشات التى بين الأدباء والفنانين والنقاد والتى تنتهى بأن يقول أديب هذه العبارة المغرورة السخيفة : مثل هذا الكاتب يجب أن تمنعوه من الكتابة ؟ !!

فلمن يقولها ؟

إنه يطلب — طبعاً — من الدولة أن تمنع أديباً من أن يقول رأيا .. وجهة نظر .. لماذا ؟ لأن هذا الأديب يختلف معه فى الرأى .. له وجهة نظر أخرى لا تعجبه ! أليس من المفروض أن تكون هناك وجهة نظر أخرى ؟ أليس من المفروض أن تكون هناك وجهات نظر ؟ وما دامت هناك وجهات فلماذا لا تكون هناك نظرات ونظريات ؟ ومادامت هناك نظرات فلماذا لا تكون هناك وجهات وجيهة ؟ لماذا تكون هناك وجهة واحدة ونظرة واحدة هى التى يختارها هذا الأديب الذى يطالب بمنع من يخالفه فى الرأى ؟

إنى أرى مثل هذا الأديب مغالطاً . لأنه لا يرى إلا نفسه ، وإلا رأيه . وهو مغرور ، لأنه يتصور أن نظرته نظرية .. ونظرية وحيدة .

وهذا الأديب مضلل لأنه عندما يرفع نبرته فى النقاش يوهم القراء بأنه أديب وحيد وبأنه سلطة . وهو بذلك يصبح أديباً إرهابيا يرفع صوته ليخيف ؛ كأن التخويف يقضى على الفكر . وكأن ظهور رأى واحد صارخ معناه أنه لا توجد آراء أخرى .. إن مثل هذا الأسلوب

هو الذى يجب أن يناقش ، وأن يناقش كثيراً ، لأنه ظاهرة خطرة ، وظاهرة مريضة متوحشة همجية ، فهو يدعو إلى الإرهاب الفكرى ، أو الإرهاب الذى يقضى على الفكر ، أو الإرهاب بلا فكر !

ومثل هذا النوع من الأدباء يحلم بأن يكون سلطة ، فإذا كانت له سلطة قضى على كل من يخالفه فى الوجهة والنظرة ، مع أنه إذا كان يريد لنظرته أن تعيش وأن تنتشر ، فالمناقشة تحييها ، وإطلاق الأضواء الكثيرة عليها وحولها ينعشها.. ويضىء بها ... ويضىء لها ... وليس إلقاء الضوء على فكرة هو رميها بالجمرات حتى تموت .. وليس إلقاء الضوء كإلقاء النار ، أو كإلقائها فى النار ..

فاختلاف الرأى لا يضر ، وتعدد وجهات النظر شىء مفيد .. ولا يصبح الرأى قوياً إذا انعدمت الآراء الأخرى ، ولا تصبح وجهة النظر سليمة ، إذا تلاشت كل الوجهات والعيون .. وإنما الرأى القوى هو الذى يكون قوياً رغم وجود آراء أخرى .. أو ربما بسبب وجود آراء أخرى !

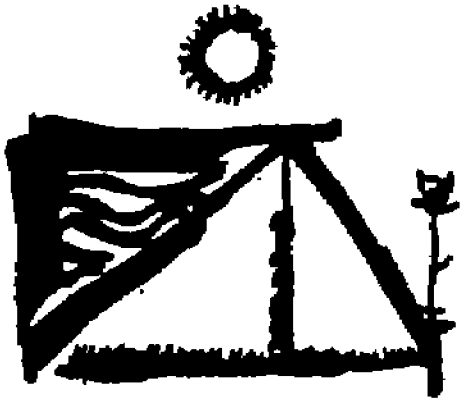

السلام
ولعب الأطفال

نحن نعيش فى عصر ينقصه اللعب والمرح ، فالناس أعصابهم متوترة ولذلك فهم مرهقون ويحاولون أن يشدوا حيلهم بالقوة : بالمنبهات ويستريحوا بالقوة : بالمنومات . . والنتيجة أن الناس فى حالة نصف يقظة ونصف نوم .

وليس الرجال وحدهم فى حاجة إلى راحة ، ولكن الأطفال أيضاً ، فالطفل نعلمه ليكون رجلا فى سن مبكرة ، أى أننا نعلمه أن يختصر مرحلة الطفولة وينتقل إلى الرجولة بسرعة . والرجولة معناها : أن يكون مسئولا ، وأن يختصر ساعات اللعب ويضيفها إلى ساعات العمل . والعالم كله ينظر إلى الطفل اليابانى بحسرة ، فهذا الطفل عنده كل أنواع اللعب الغريبة والعجيبة ، واليابان نفسها تصدر اللعب للعالم كله .

ولقد رأيت اليابان ، ورأيت الطفل اليابانى ، ولا أعتقد أنه سعيد ، فهو يلعب بأصابعه الصغيرة فى آلات رائعة ، ولكن هذا ليس لعباً صحياً . إنه نوع من اللعب (العلمى) ، فالطفل يلعب ويدرس فى نفس الوقت ، ولذلك يقوم بتشغيل عقله الصغير على المخترعات العلمية الباهرة . وهذه اللعب هى صواريخ ومدافع وطائرات وغواصات وأجهزة إلكترونية . فهذه اللعب نفسها تجعل الطفل يتحول بسرعة إلى رجل صغير . وعيب هذه المخترعات الصغيرة أنها تجعل الطفل لا يفزع من المدافع والطائرات والقنابل ، وإنما يرى فيها مجرد تسلية ، فإذا كبر ظلت هذه نظرته وفكرته . فهو لا يخاف من المدفع إذا كبر

أى إذا هو كبر ، وإذا المدفع كبر ، ولذلك لا يخاف من الخلاف بين الأطفال إذا تحول إلى حرب بين الكبار ..

وأنا لا أقارن بين الطفل المصرى والطفل اليابانى ، ولكن من المؤكد أن الطفل المصرى ليست عنده هذه اللعب التى يملكها اليابانى .

وعندما يتفسح الطفل عندنا ، فهو يلعب فى الشارع ، أو يلعب فى المدرسة ، أو يذهب إلى السينما ليتفرج على الكرتون .. وإذا كبر فإنه ينتسب إلى أحد الأندية الرياضية .

ولكن الطفل الذى يهمنى هو الصغير جداً . ونحن فى مدينة القاهرة لا توجد عندنا حدائق للأطفال ، لا توجد عندنا هذه الجنة الصغيرة التى يرى فيها الطفل الحياة فى أوراق الشجر وفى الزهور والثمر ، وفى الطيور التى تمشى على الأرض ، ولا تخاف منه ولا يخاف منها . ولا أظن أنه توجد حدائق للأطفال فى المحافظات ، وكنت أتمنى من وزير الزراعة ، أن يكون رائداً فى هذا المجال الحيوى ، فيحول حديقة الأورمان ، إلى حديقة للأطفال يرون فيها الحياة الخضراء ، ويحبون الحياة ويحرصون عليها — على حياتهم وعلى حياة غيرهم . فإذا تحولت حديقة الأورمان إلى جنة للأطفال تحولت حدائق أخرى فى العواصم إلى ملاعب للأطفال ، ملاعب صحية . وأطفال العالم كله يلعبون . وليس المهم أن يلعبوا ، لكن المهم أن يلعبوا بشىء صحى . فاللعب فى الغرف المقفلة بالأجهزة العلمية مفيد عقلياً ، ولكنه ضار صحياً ... ضار بصحة الفرد ، وضار بصحة المجتمع وبالإنسانية .

فالصحة الفردية والاجتماعية هى أن يحرص الإنسان على السلام . لأن السلام هو الحياة . وهذا المعنى العام نغرسه فى نفوس الأطفال وهم يلعبون فى الهواء والشمس ، لا وهم يلعبون بالنار !

أصوات
غير مسموعة

كم عدد الأصوات الغنائية التى عندنا ؟ إنها فى مثل عدد أغنام جحا . عددها معروف . وهى أصوات متشابهة .. ومعنى ذلك أنها متقاربة . أى قليلة . لذلك « يشمشم » الناس على الصوت الجديد . أى صوت . وربما كان هذا سر الاهتمام بمطرب مثل فهد بلان . إنه صوت قوى مختلف سليم : مرح الأعطاف حلو اللفتات !

ولا تستطيع المعاهد الفنية أن تخلق الأصوات . وإنما فى استطاعتها أن تدرب الأصوات وتثقفها إذا اكتشفتها .. والذى تستطيعه هذه المعاهد ما يزال قليلا ..

وقد شاركتُ اللجنة التى تمتحن أصوات المذيعين والمذيعات من خريجى الجامعات . والنتيجة قطعاً سيئة ومحزنة . السبب ليس معروفاً .. فلا يوجد صوت مسموع . ولا يوجد نطق عربى سليم . ولا دراية بمبادئ النحو والصرف . وأسوأ من هذا كله : أن معظم الفتيات لا يعرفن كيف ينطقن حرف القاف . وليس حرف القاف وحده . وإنما القاف وأخواتها مثل الطاء والظاء والثاء والدال واللام، والسين . وإذا أفلحت واحدة أو واحدة فى نطق الحروف نطقاً واضحاً فإن الكلمات تكون قد التوت فى الحلق وداخت بين اللسان الأسنان ، حتى تخرج فى النهاية جثة هامدة يشيعها الميكرفون إلى الآذان !

لماذا ؟ لأن تدريس اللغة العربية ليس صحيحاً . لأن المطالعة الصحيحة

ليست من العلوم الأساسية . لأن حفظ القرآن ــ القرآن بالذات ، وهذا أحسن نموذج للغة والقراءة السليمة ــ ليس إجباريًا . ولا توجد هناك عناية واضحة بحفظ الشعر . ليس بحفظ الشعر فقط ، بل بإلقاء الشعر . وقد يتبادر إلى الذهن أن الطلبة الذين يتخرجون فى أقسام اللغات الأوربية يحسنون نطقها ، ولذلك ينصرفون عن اللغة العربية إلى اللغات الأخرى . حتى هذا ليس واضحاً . فإن معظم الذين تقدموا للإذاعة الأوربية لا يعرفون النطق الصحيح .. والأسباب متشابهة فى جميع الحالات : لا عناية بالنطق السليم !

إن النطق السليم والأداء السليم يشبهان « المشق » أو الكاليجراف . والمشق هو ذلك النموذج من الخطوط الجميلة التى يتدرب عليها التلميذ فى كل مراحل التعليم .

والتدريب على النموذج الجميل هو تعويد لليد أن تسير وفقاً للقواعد تماماً ، كما يتدرب الصوت على النماذج السليمة فى النطق وإخراج الكلمات وتوزيع إخراجها من الحلق أو من الأنف أو من بين الأسنان . . ولكن الذى سمعناه ــ بصراحة ــ كان نوعاً من « قرطسة » الأصوات .. أى لفها فى قرطاس لب ثم رميها على آذان الناس .. وهناك ــ ولاشك ــ عذر آخر للطلبة والمستمعين جميعاً .. هو أن معظم أصوات المذيعين فى الإذاعة رديئة وركيكة ومهلهلة . وهى ولاشك نماذج سيئة تشجع أى إنسان على أن يذهب إلى الإذاعة ويدخل إلى الاستديو ويتكلم على الهواء ويقول بملء فيه : اسمعنى !

ولا يكاد أعضاء اللجنة يستمعون إلى صوت معقول حتى تعتدل مقاعدهم ويطلبون إليه أن يعيد ويزيد كأنه أم كلثوم : والله كمان .. أعد . من الأول .. !

ومن أربعين صوتا لم تسترح الأذن إلا إلى صوتين أو ثلاثة !

نفاية المجتمع

عواجيز الفرح : هم طراز من الناس موجود فى كل فرح . ومن آمالهم أن يتحول الفرح إلى مأتم .

وحتى لو تحول إلى مأتم لتحول عواجيز الفرح إلى « عواجيز المأتم » ولقالوا أيضاً : والتكاليف دى لزمتها إيه ؟

إذن هم نوع من الناس لا تعجبهم الأفراح ولا تعجبهم المآتم . فلا يعجبهم أى شىء ، ولا يسألون أنفسهم : ما العمل ! ما ضرورة وجودنا ؟ ما قيمتنا فى هذه الحياة ؟ أى دور لنا ؟

إن الصفة الوحيدة لهؤلاء العواجيز هى أنهم لا يغلطون .. والذى لا يغلط هو الميت أو الذى لا يعمل . والذى لا يعمل طرفا فى أى موضوع ولا أية قضية ، والذى ليس طرفاً من أطراف الحياة الاجتماعية ، ليس حيا .. فهؤلاء العواجيز هم (نفاية) اجتماعية .. هم (أعقاب سجاير) الأحياء .. إنهم هامشيون ..

وليس من الضرورى أن يكونوا عواجيز فى السن ، وإنما من الممكن أن يكونوا عواجيز الروح .. عواجيز الأمل .. عواجيز الكفاح ..

إن مثل هذا النوع من العواجيز الشبان عالة على المجتمع .. آفة فى حقول الأمل الإنسانى .. عاهة فى الجسم السليم لمجتمعنا الشاب ..

إنهم أناس تعرفهم فى كل مكان .. إنهم يتفرجون على الذين يعملون ويشتمونهم .. ويسخرون من دموعهم . لأنهم يرون أنه لا العرق ولا الدموع هى إكسير الحياة .. وإنما إكسير الحياة هو

التواكل والوصولية والسلبية والسخرية من كل من يقيم فرحاً أو مأتما .. من يكسب شيئاً أو يخسر شيئاً .. إنهم يسخرون من العواطف الإنسانية ومن معنى الحياة ، ومن أن يكون للحياة معنى ، وأن يكون للمواطن هدف ، ومن أن يكون للوطن كله هدف ..

إن الحقيقة الواضحة للتسامح الاجتماعى عندنا هى أن نجد هؤلاء العواجيز فى كل مكان ، فى كل موقع من مواقع العمل وعلى كل مستوى . وهم مع ذلك يجدون اللقمة الساخنة والشراب المثلج والكرسى المريح ، ويجدون من يؤكد لهم أنهم أعمدة الحياة الإدارية وعتبة الجنة ..

ولكن النباتات المتسلقة لا تعيش إلا « على » الأشجار .. واللصوص لا يعيشون إلا « على » الأبرياء .. إن هذا الطراز من الناس يعيشون « على » الغير . ولا يعيشون على عرقهم هم وأرقهم هم . ونحن اليوم نعمل — يجب أن نعمل — بكل ما لدينا من طاقة ووضوح رؤية على استئصال المتسلقين والمتسللين والمتفرجين والشامتين : عواجيز كل فرح وكل مأتم !

ومنذ ٣٥ سنة كتب طه حسين فى الصفحة الأولى من أحد كتبه : أهدى هذا الكتاب إلى الذين لا يعملون ويغيظهم أن يعمل الناس !

وأستأذن طه حسين فى استعارة هذا الإهداء لنبعث به جميعاً إلى الذين لا يعملون — ومع ذلك يعيشون — فى مجتمع العمال والفلاحين !

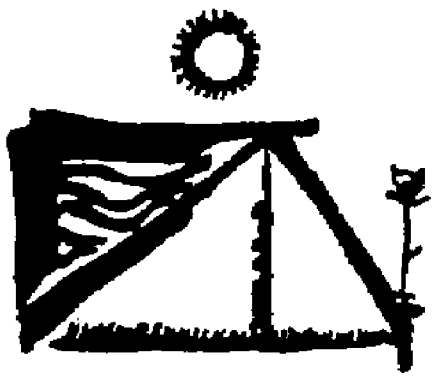

أنت تبحث عن المتاعب

ليس صحيحاً أن الإنسان يحب الراحة . فالإنسان يفعل الكثير من الأشياء التى ترهقه فى حين أنه فى الحقيقة يريد أن يستريح .. فالذى يشكو الأرق لا يتوقف مع ذلك عن شرب القهوة والشاى — أنا مثلا !

والذى يشكو من تعب فى عينيه لا يكف عن الجلوس أمام التليفزيون ، ولا يكف عن تناول المشروبات الباردة التى تسبب له الإمساك الذى يسبب الصداع ووجع العينين !

والذى يتعب من التدخين لا يكف عن السجائر . وفى استطاعتك أن تنظر إلى كل أصدقائك ، فتجد أناساً يلعنون السجائر ، والذى اخترع السجائر ، والذى اكتشف السجائر .. ومع ذلك لا يتوقفون عن التدخين !

وهذا يشكولك من ضيق الحال وقلة المال وكثرة العيال .. لو نظرت إلى أصابعه فسوف تجد فيها سيجارة لا تنطفئ ، إلا فى سيجارة أخرى !

وهذا يشكو من كثرة الأفواه فى بيته .. الزوجة وخمسة من الأولاد وسيدة أخرى تعمل فى البيت .. فعلا هذا عدد كبير على أى إنسان مهما كان دخله .. ولكن ما الذى أرغمه على أن يكون له كل هذا العدد ؟ الدين لا يقول ذلك ! وتسأله فيقول لك : أمر الله !

ولا اعتراض على مشيئة الله .. ولكن الله أعطى الإنسان مشيئة أيضاً .. وهذه المشيئة مربوطة فى عقله ، وعقله يقول له على « قد لحافك

مد رجليك ».. واللحاف صغير والأرجل طويلة وكثيرة .. إنه لا يريد أن يستريح .. إنه يريد أن يجد مبرراً للشكوى والبكاء !

ونحن فى المدن نشكو من أن أعصابنا مرهقة .. فما الذى نفعله لكى تستريح هذه الأعصاب؟ إننا نذهب إلى أفلام الرعب والأشباح والدم والموت .. نتزاحم بالمئات لكن نجد مكاناً أمام شاشة تسيل فيها الدماء وتمزقها الصرخات وترتادها الأشباح والعفاريت .. لماذا ؟ لأننا نريد أن نخاف .. لأننا نريد أن نصاب بالفزع والرعب .. لأننا نريد أن نستريح فنفعل ما يضاعف من متاعبنا !

فليس صحيحاً أننا نبحث عن الراحة .. إننا نبحث عن التعب وعن الشقاء والعذاب دون أن ندرى !

مجتمع اليتامى

سوف يزداد عدد النساء العاملات . وسوف يزداد عدد الأطفال الذين يشعرون بأنهم يتامى . فليس اليتيم هو الذى مات أبوه وأمه . ولكن اليتيم هو الذى له أب وله أم ، ولكنه لا يشعر بهما .. يريانه ولكن لا يلمسانه .. يلمسانه ولكن بلا حنان ، فليس هناك وقت للحنان — فلا هما موجودان بالنسبة له ، ولا هو موجود بالنسبة لهما !

فالمرأة تتعلم ، وبعد ذلك تعمل .. والمجتمع الذى تعمل فيه المرأة هو مجتمع من صنع الرجل . فالرجل قد سبقها إلى العمل ، وسبقها إلى وضع قوانين العمل وتقاليد العمل وأساليب النجاح فى العمل . وهو الذى وضع فلسفة النجاح فى الحياة أيضاً .

ولايزال الرجل يشعر بأن المرأة العاملة غريبة دخيلة ، ولاتزال المرأة العاملة تشعر بأن الرجل قد سبقها وتقدم عليها .. ولكنها مصرة على أن تعمل ، مهما كلفها العمل من تعب . ومهما أبعدها واجبها الطبيعى فى أن تكون أمًّا وأن تكون ست بيت . ولن تتوقف المرأة عن العمل خارج البيت ، وعن العمل فى البيت أيضاً .

فاشتغالها خارج البيت لم يخفف عنها متاعب البيت كزوجة وأم ..

والمرأة المتعلمة ترفض أن تتولى « الشغالة » تربية أطفالها الصغار . ولذلك فالأم المتعلمة تحب أن تعلم أطفالها .. ولكن لأنها عاملة ، فليس عندها متسع من الوقت لتربية الأطفال . وهى لذلك لا تنجب إلا عدداً قليلا من الأطفال .

ولأن الرجل ليس عنده متسع من الوقت لأطفاله ، ولأن المرأة

أيضاً ليس عندها متسع من الوقت لأطفالها . يتعجل الاثنان — والمجتمع كله — أن يدخل الطفل مرحلة الرجولة فيعتمد على نفسه فى سن مبكرة . ويتوقف عن اللعب واللهو فى سن صغيرة .. وأن يتهيأ للدراسة والحياة العملية فى سن الحضانة .

وقد أدرك كثير من الدول الصناعية أن مرحلة الطفولة عند الطفل قد اختصرت . ولذلك اهتمت بمدارس الحضانة — أى المدارس التى يستأنف فيها الطفل طفولته . وتقوم المدرسات بدور الأم والأب معاً — فليس هناك متسع من الوقت لكى تقوم أمه بدور الأم ، وليقوم أبوه بدور الأب ؟

وبعض علماء النفس يفسرون اللعب واللهو والترويح من الدراسة ومن العمل عند الشبان والرجال بأنهم حرموا الطفولة عندما كانوا أطفالا .. ويفسرون انحراف الشبان وزواجهم فى سن مبكرة فى أمريكا وأوربا بأن هؤلاء الشبان قد حرموا حنان الأم فى سنواتهم الأولى .. ولذلك راحوا يبحثون عن زوجات يقمن بدور الأمهات ..

ولابد أن يجىء ذلك اليوم الذى يشعر فيه المجتمع بحاجته الشديدة إلى الأمومة وإلى الأمهات . فيعطى المرأة وقتاً أطول لكى تكون أماً ، ولكى تساهم فى إنقاص عدد اليتامى — الذين يشعرون بكراهية الأسرة والمرارة فى مواجهة العائلة الإنسانية كلها !